فقه التعايش الحضاري والأزمات

(١٠٩ من قواعد التعايش الإيجابي البناء)

أ.د. محمد رفعت زنجير

فقه التعايش الحضاري والأزمات

(١٠٧ من قواعد التعايش الإيجابي البناء)

بقلم:

أ.د. محمد رفعت زنجير

بسم الله الر حمن الرحيم

المصدر: https://bit.ly/2GnZgAA

تمهـــيد

الإسلام دين التعايش والتآلف والحضارة والسلام، والجذر المشتق منه اسمه هو من مادة: (سلم)، وتحيته السلام، ومن أسماء الباري عز وجل: السلام، ومن أسماء الجنة: دار السلام.

وشريعة الإسلام هي شريعة السلم والأمن والأمان، ومقاصدها الأساسية حفظ (الضروريات الخمس: الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل)[١]. ليعيش الناس أفرادا وجماعات بسلام.

وبناء عليه: لم يفرض الله على المسلم أعباءً فوق استطاعته، ولا أن يخاصم الحكومات كلها، ويحارب المجتمعات الإنسانية، وينغمس في الفتن والمتاهات المظلمة، ويخرب دنياه ومستقبله... بل شرع له أن يتعايش مع الناس بحكمة، ويصلح واقعه قدر استطاعته، ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (المسلمُ من سلمَ المسلمون من لسانه ويده، والمؤمنُ من أمنه الناسُ على دمائِهم وأموالهم). رواه الترمذي والنسائي[٢].

وفي عصرنا عصر القيم المادية والخواء الروحي، تهاوت قيم التسامح والتعايش والمحبة عند الناس، وظهر الجشع والطمع، والاستعمار والاحتلال لنهب ثروات الشعوب وخيراتها، وتساءل الناس: أين قيم الخير والفضيلة في هذا العالم؟!

لقد كادت القيم الروحانية والإنسانية أن تذهب جميعها، ولم يبق منها شيء يذكر إلا عند بعض أتباع الديانات السماوية، وبخاصة عند المسلمين الذين حملوا للعالم قيم الحرية والعدالة والتسامح يوماً ما، وقد شهد بهذا المؤرخون المنصفون، ففي هذا الصدد قال غوستاف لوبون مشيدا بعدل الفاتحين الأوائل وسماحتهم: "وسيرى القارئ حين نبحث في فتوح العرب وأسباب انتصارهم، أن القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن، فقد ترك العربُ المغلوبينَ أحراراً في أديانهم، فإذا حدث أن اعتنق بعضُ الأقوامِ النصرانيةِ الإسلامَ، واتخذوا العربيةَ لغةً لهم؛ فذلك لما رأوا من عدل العرب الغالبين ما لم يروا مثله من سادتهم السابقين، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل. وقد أثبت التاريخ أن الأديان لا تفرض بالقوة، فلما قهر النصارى عربَ الأندلس فضَّلَ هؤلاء القتلَ والطرد عن آخرهم على ترك الإسلام. ولم ينتشر القرآن بالسيف إذن، بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوبُ التي قهرت العرب مؤخراً، كالترك والمغول"[٣].

وفي وقتنا الحاضر؛ شاعت في المجتمعات الإنسانية فتن همجية، وحروب أهلية، وتصرفات رعناء من بعض الناس من المسلمين وغيرهم، إذ لا تخلو أمة من الأمم من وجود بعض الجهلة والحمقى والغلاة والمتطرفين الذين يوقدون نار العداوة والبغضاء بين الأمم

---

[١] – الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي، شرحه عبد الله دراز، ص (٢٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م.

[٢] - مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني ، (١٧/١)، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

[٣] – حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص(١٢٧-١٢٨)، مكتبة الأسرة ٢٠٠٠، بإشراف د. سمير سرحان، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

والشعوب، غير أن وسائل الإعلام العالمية تركز على المسلمين، بحيث أظهرتهم أمام الناس وكأنهم مجموعة من القتلة المارقين أو قطاع الطرق، يشكلون خطراً على الحضارة ومنجزاتها، وذلك يأتي خلافاً لصورتهم الناصعة عبر التاريخ كله... إذ استغل كثير من أعداء الأمة بعض تلك الأحداثِ المؤسفة، وذلك لإحداثِ مزيد من التشويه والعدوانية عند الأمم والشعوب من غير المسلمين؛ لحثهم على كراهية المسلمين، وجلب الأذية لهم.

لذلك رأينا ضرورة أن نبين للناس حقيقة ديننا، لكي ندفع أبناءَنا للتمسك بأخلاق وآداب الإسلام من جهة، ودفعاً لدعايات التشويه والتضليل التي تتهم المسلمين بالهمجية والإرهاب من جهة أخرى... وإذا شذ أفراد قلائل عن السلوك الحضاري الصحيح، فلا يصح أن تتهم أمة أخرجت الناس من الظلمات إلى النور ـ في حقبة تاريخية مضت ـ بمثل هذا الاتهام الشنيع.

وهذه قواعد في فقه التعايش الحضاري والأزمات، موجهة أساساً لعامة القراء، كُتبتْ بأسلوبٍ سهل مختصر، يمكن أن يستفيد المسلم منها جميعا، فمعظمها تفيد حياته بشكل عام، وهو يستفيد من بعضها عند الأزمات والمحن بوجه خاص، وذلك أن بإمكانه ـ وفق الشريعة التي نظمت الحياة في كافة صورها وأطوارها ـ فعل كل ما فيه أمنه وسلامته، وسلامة مجتمعه الذي يعيش فيه.

ويتكون هذا المبحث من ثمان فقرات وفق الآتي:

أولاً مقدمات عامة وضرورية للتعايش المحلي والإقليمي والعالمي

١) **هنالك مجموعة مبادئ عامة تساعد على التعايش، وينبغي أن تكون مفاهيم مشتركة بين الناس جميعهم، أولها: أن الاختلاف والتعدد هو من مشيئة الله تعالى في خلقه، حتى يكون هنالك ابتلاء، وصراع بين الأضداد، وعلينا أن نتقبل ذلك،** ونتفاعل معه، قال تعالى: (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) [سورة يونس/ ٩٩].

٢) أرشد الله الناس إلى الحق، وأعطاهم العقول والإرادة، وأمرهم باتباع دينه الحق، ولكنه لم يجبر أحداً على الإيمان بدينه، بل تركهم أحراراً في أديانهم ومعتقداتهم، وعليه**: فلا وصاية لأحد على غيره، وإنما يحاسب البشر على أديانهم وأعمالهم الربُّ الذي خلقهم يوم القيامة، قال تعالى: (**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) [البقرة/ ٢٥٦].
ومما يؤكد معنى الحرية وحق الاختيار للعباد، ما رواه جابر، قال: (جاءت ملائكة إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو نائم، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً، فاضربوا له مثلاً، قال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: مَثَلُهُ كمثل رجلٍ بنى داراً، وجعل فيها مأدُبة، وبعث داعياً، فمن أجاب الداعيَ دخل الدار، وأكل معه من المأدُبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدُبة، فقالوا: أوّلوها له يفقهها، قال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العينَ نائمةٌ والقلب يقظان، فقالوا: الدارُ الجنة، والداعي محمدٌ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمن أطاع محمداً ـ صلى الله عليه

وسلم ـ فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد عصى الله، ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَرَقٌ بين الناس). رواه البخاري[٤].
فالدعوة إذاً هي قائمة على الاختيار لا الإجبار، فمن قبلها من الداعي وهو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فاز ونجا، ومن رفضها يتحمل نتيجة اختياره، وما سيلحقه في الآخرة من العذاب.

٣) **منهج الدعوة إلى الله تعالى هو الحوار والتذكير**، وليس عنفاً وإلزاماً، كما قال تعالى: (فذكر إنما أنت مذكر، لست عليهم بمصيطر) [الغاشية/ ٢١-٢٢].
وهذا سلوك حضاري عظيم، وينبغي أن تنتهجه جميع الأديان مع مخالفيها، بحيث أن لا تكون هنالك تصفية عرقية، أو قتل وإبادة للأقليات، أو المخالفين للدين السائد في أي مجتمع كان.

٤) **يجب أن يتعايش الناس من كافة الأديان والمذاهب والملل والنحل تحت سقف الشريعة التي تظلهم، أو القانون الذي يحكمهم**، وفي إطار الوطن الواحد الذي يجمعهم، دون أن يحقر أصحاب كل دين من خالفهم من أصحاب الأديان الأخرى، وإنما يتعايشون وفق قوله تعالى: (لكم دينكم ولي دين) [الكافرون/٦].

٥) **الوطن لكل أبنائه، ولكل من يعيش تحت سمائه**، ومن ولد وترعرع في رباه، ولا يحق لفريق أن يخرج فريقاً آخر، أو يزعجه ليغير دينه، وما فعله أعداء الرسل ـ عليهم السلام ـ من إخراج رسلهم من أرضهم، هو عمل عدواني عنصري لا أخلاقي، قال تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ) [إبراهيم/ ١٣].

٦) **يجب احترام أصحاب الرأي الآخر، واحترام حق حرية التعبير**، وذلك لأن الاختلاف قائم بين أصحاب الدين الواحد في فهمهم لنصوص دينهم، وكيفية تأويلها وتطبيقها، فضلاً عن أنه قائم أيضاً بين أتباع الديانات والمذاهب المختلفة، ولا سبيل لحل مثل هذه الخلافات إلا بالحوار، فالحجة لا تقابلها إلا حجة أخرى مثلها، والمنطق لا يدفع إلا بالمنطق، ومن حق كل إنسان أن يمارس حرية التفكير بطريقته، وعلينا أن نتقبله كعنصر يعيش معنا في المجتمع، والمجتمع يجمع النماذج المتوافقة والمتناقضة، وكل إنسان حر فيما يقوله أو يعتقده في هذه الدنيا، ولكنه مسئول عن ذلك غداً عند ربه عز وجل، والله تعالى لم يلزم أحداً بدينه قهراً، فقد عرض الأمانة على السماوات والأرض فاعتذرن عن حملها، ولم يلزمهن الله بحملها، وجاء الإنسان فحملها، قال تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) [الأحزاب/ ٧٢].
فلا إلزام ولا إكراه في دين الله تعالى للمخالفين والمعاندين، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) [هود/ ٢٨].

---

(٤) انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (٥١/١ ـ ٥٢)، رقم الحديث: ١٤٤.

وقد توصل البشر بعقولهم إلى ضرورة وجود حرية التعبير التي أرشدهم الله إليها، فقد قال فولتير: (إني أخالفك الرأي، لكني مستعد للدفاعِ حتى الموت عن حقك في إبدائه)[٥].

٧) **يجب احترام العهود والأعراف والمواثيق الدولية المتعامل بها بين الناس،** قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) [المائدة/ ١]. وعليه لا يجوز لمسلم أن يروع غير المسلمين إذا دخل بلادهم بفيزا رسمية، فهذا غدر وخيانة، وعليه أن يكون مثالاً للانضباط واحترام الآخرين، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (الإيمانُ قيدُ الفتكِ، لا يفتكُ مؤمن). رواه أبو داود وغيره[٦]. **والفتك هو القتل غدراً، ومعنى الحديث: الإيمان لصاحبه كالقيد، يمنعه من أن يغدر بالناس بعدما أعطوه الأمان كما يمنع القيد صاحبه من التصرف.**

٨) **ينبغي احترام دور العبادة المختلفة،** والحفاظ عليها من الهدم والأذى، ففيها يذكر اسم الله تعالى كثيراً، قال تعالى: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا) [الحج/ ٤٠]. والصوامع هي صوامع الرهبان، وقال قتادة: صوامع الصابئين. والبيع: جمع بيعة، وهي كنيسة النصارى. وصلوات: يعني كنائس اليهود، ويسمونها بالعبرانية: صلوتا كما ذكر البغوي. ويمكن للمسلم أن يصلي في دور عبادة أهل الكتاب، كما يمكن لأهل الكتاب أن يدخلوا مساجد المسلمين، كما فعل نصارى نجران حين نزلوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٩) إن تنوع اللغات واختلافها هو من آيات القدرة الإلهية، قال تعالى: (ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم) [الروم/ ٢٢]. والمقصود بالألسنة: اللغات، وهو مجاز مرسل من تسمية الشيء باسم محله أو آلته، واللغات هي وعاء الفكر والعلم والثقافة، واختلافها هو من دلائل القدرة الإلهية، وبناء عليه: فإن الاهتمام بثقافات الآخرين ولغاتهم، وتعلمها يسهم في تعزيز التعايش السلمي وأجواء التفاهم والحوار.

١٠) **ينبغي تنمية الوعي الحضاري، والثناء على الأشياء الإيجابية عند الأمم والشعوب من غير المسلمين،** ولا بأس بذكر محاسنهم، اقتداء بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، الذي ذكر محاسن الروم والفرس والشام واليمن وبعض القبائل، وهذا مما يدل على عدله وإنصافه ورجاحة عقله وبعد نظره صلوات الله وسلامه عليه، فعن أبي هريرة، قال: كنا جلوسا عند النبـي صلى الله عليه وسلم، إذ نزلت سورة الجمعة، فلما نزلت: (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) [سورة الجمعة/ ٣] قالوا: من هؤلاء يا رسول الله؟. قال: وفينا سلمان الفارسي، فوضع النبـي صلى الله عليه وسلم، يده على سلمان ثم قال: (لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء). متفق عليه[٧].

---

[٥] - معجم روائع الحكمة والأقوال الخالدة، بإشراف د. روحي البعلبكي، ص (١١٠). دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١م.

[٦] - مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (١٠٥٣/٣).

[٧] - مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (١٧٥٠/٣).

وعن المستور الفهري، أنه قال لعمرو بن العاص: تقوم الساعة والروم أكثر الناس، فقال له عمرو بن العاص: أبصر ما تقول. قال: أقول لك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال عمرو بن العاص: إن تكن قلت ذاك، إن فيهم لخصالا أربع: إنهم لأسرع الناس كرة بعد فرة، وإنهم لخير الناس لمسكين وفقير وضعيف، وإنهم لأحلم الناس عند فتنة، والرابعة حسنة جميلة: وإنهم لأمنع الناس من ظلم الملوك[٨].

وعن ابن عمر، قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا). قالوا: يا رسول الله! وفي نجدنا؟ قال: (اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا). قالوا: يا رسول الله! وفي نجدنا؟ فأظنه قال في الثالثة: (هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرنُ الشيطان). رواه البخاري[٩].

١١) **<u>التقييم والتفاضل يكون بحسب الأعمال لا الأنساب أو الألوان أو أي شيء آخر</u>**، فقيمة الإنسان بما يحسنه، وليست بنسبه، وفي المجتمع المنتج المتطور يأخذ الفرد مكانته الاجتماعية من خلال ما يؤديه للمجتمع من خدمات حسنة، لا من خلال نسبه أو أية قيمة أخرى، وذلك أن الأنساب من تقدير العزيز العليم، ولا دخل للإنسان فيها، وأما الأعمال فهي من صنع الإنسان وإرادته، وعليها المعول، ولذلك قال تعالى: (لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا، وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا) [النساء/ ١٢٣-١٢٤].

***

<u>ثانياً: هنالك أمور وموضوعات هامة تساعد على التعايش، فمن ذلك:</u>

١٢) **نشر ثقافة السلام**، وتوعية الناس بمخاطر الحروب المدمرة، وضرورة مناهضة الأسلحة الذرية وأسلحة الدار الشامل، وكل ما يهدد وجود الإنسان وأمنه وحضارته على هذا الكوكب... كل هذا يسهم في تعزيز التعايش السلمي بين الناس.

١٣) **نشر القيم الحضارية وتعزيزها بين الناس يسهم في خلق جو إيجابي بين الأفراد والأمم والشعوب**، وذلك كالحديث عن العدل والحرية والمساواة بين الناس، ووحدة البشرية في أصلها، وكذلك وحدة مصيرها في مستقبلها، ووحدة الأسرة الإنسانية في آلامها وآمالها، وفي هذا الصدد نذكر قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات/ ١٣].

---

[٨] - مسند الإمام أحمد، (٢٣٠/١)، دار الفكر العربي، ورواه مسلم أيضا، انظر: فيض القدير، للمناوي، (٢٦٥/٣)، دار الفكر.

[٩] - مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (١٧٦٦/٣).

١٤) **احترام العلم والعلماء،** والعناية بمصادر المعرفة ومظانها، وتشجيع البحث العلمي، والمحاضرات العلمية، والمؤتمرات العلمية، ومراكز الحوار، وتبادل الخبرات العلمية، كل هذا يسهم في تعزيز ثقافة التعايش بين الناس.

١٥) **الاهتمام بالتراث الإنساني المشترك،** فمثلاً قصة يوسف ـ عليه السلام ـ تعد من أجمل القصص التي يمكن أن تشكل تراثاً مشتركاً للناس.

١٦) الاحتفاء بالمآثر الوطنية والقومية والإنسانية العالمية التي ترتبط بذكريات جميلة للبشر، مثل ذكريات انتهاء الحروب العالمية المدمرة، واستغلال ذلك للدعوة إلى التعايش والسلام.

١٧) الثناء على الأعلام والأبطال ورجالات الفكر ممن جسدوا ثقافة إنسانية عالية، وكانوا رموزا إنسانية تُحتذى في الخير والمسئولية، وذلك عند العرب في الجاهلية كـ: عنترة بن شداد، وحاتم الطائي، وعبد الله بن جدعان التيمي القرشي، وأمثالهم عند الأمم الأخرى... وقد أثنى الرسول الكريم على حاتم، وابن جدعان، وهذا يدل على كماله وعظمته وتقديره لخيار الناس صلى الله عليه وسلم.

١٨) **تعزيز ثقافة الانتماء إلى الوطن،** ومحبة الوطن، والدفاع عنه، وهي ثقافة أرشدنا إليها الإسلام، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكة المكرمة التي ولد فيها: (ما أَطيبكِ منْ بلدٍ وأحبَّكِ إليَّ، ولولا أن قومي أخرجوني منكِ ما سكنتُ غيرَكِ) رواه الترمذي عن ابن عباس[١٠].
وما أروع ابن الرومي حين قال يعلمنا حب الوطن: [١١]

ولي وطـــــنٌ آليتُ ألا أبيعه/ وألا أرى غيري له الدهر مالكا
عمرتُ به شرخ الشباب منعما/بصحبة قوم أصبحوا في ظلالكا
وحبب أوطـــانَ الرجال إليهم/مآرب قضاها الشـــبابُ هنالكا
إذا ذكروا أوطانَهـــم ذكرتهم/عهود الصبا فيها فحنوا لذلكـــا
قد ألفته النفسُ حتى كـــــأنه/لهـــا جسدٌ إن بانَ غُودرَ هالكا

١٩) **إحياء المناسبات الوطنية،** والاحتفال بانتصارات الوطن، والاحتفاء بإنجازاته، وكذلك تحية العلم الوطني والوقوف للسلام عليه... كل ذلك مما يساعد على وجود تعايش حقيقي بين الطوائف والمذاهب والأديان المختلفة في الدولة الواحدة، وقد أفاضت دار الإفتاء المصرية في بيان حكم تحية العلم، ووصلت إلى النتيجة الآتية: "فإن تحية العلَم المعهودة أو الوقوف للسلام الوطني

---

[١٠] ـ مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (٨٣٢/٢)، رقم الحديث: ٢٧٢٤.
[١١] ـ الأبيات في جواهر الأدب، للهاشمي، (٧٢٣/٢). والبيتان ٣-٤ في مختارات البارودي، (٢٤٥/٤).

أمران جائزان لا كراهة فيهما، ولا حرمة كما شغَّب به مَن لا علمَ له، فإذا كان ذلك في المحافل العامة التي يُعَدُّ فيها القيام بذلك علامة على الاحترام وتركه مشعرًا بترك الاحترام: فإن الوقوف يتأكَّد؛ فيتعيَّن فعلُه حينئذٍ؛ دفعًا لأسباب النفرة والشقاق، واستعمالًا لحسن الأدب ومكارم الأخلاق"[١٢].

٢٠) **وكذلك تعتبر الفنون الجميلة الراقية من أهم الأنشطة التي تساعد على التآلف والتعايش بين الناس،** والإسلام دين يشجع الفنون الهادفة، ومنها: الشعر، والأدب، والرسم، والخط، والنشيد ... وهذا كله يسهم في تعزيز التعايش السلمي بين الناس. **ولا يشترط في صاحب الفن أن يكون مسلماً حتى يوافق فنه الإسلام،** فقد استشهد الأستاذ محمد قطب في كتابه: (منهج الفن الإسلامي) بقصائد لطاغور كنماذج توافق الفن الإسلامي[١٣]، وعليه: فإن كل فن يدعو للتعايش والتحاور ويعزز القيم النبيلة بين الناس، ويحارب الكسل والفساد والعنصرية والجريمة... يمكن اعتباره فنا إسلاميا، بغض النظر عن معتقد صاحبه.

٢١) **العلاقات الاقتصادية والتجارية السليمة،** المبنية على المصالح المشتركة، والبعيدة عن الغش التجاري والكذب والخداع والاحتكار، تسهم هي الأخرى في تعزيز أواصر التعايش الحضاري بين الناس.

٢٢) **السياحة بغرض التعارف، ومعرفة التاريخ واكتشاف العبر من الأيام التي خلت،** كل هذا يساعد في تنمية التعايش بين الأفراد والأمم والشعوب من كافة الأشكال والألوان، وقد حثنا الله تعالى على السير في الأرض للعظة والاعتبار، قال تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [العنكبوت/ ٢٠].

٢٣) **الرياضة هي من أهم الأنشطة المحببة التي تساعد على التآلف والتعايش بين الناس،** والإسلام دين يحب الرياضة، ويشجع الأنشطة الرياضية المفيدة، كالسباق، وركوب الخيل، وتأديبها، والرماية[١٤]، والمصارعة، والسباحة.. والآثار الواردة في هذا كثيرة.

٢٤) **اللهو البريء والترفيه المباح،** وذلك كالسفر للتنزه، واكتشاف الآثار، والمشي في الغابات، والمعسكرات الكشفية، ولعب الشطرنج، وألعاب التسلية... كل ذلك مما يساعد على الاندماج والتعايش السلمي بين الناس.

٢٥) مكافحة الأمراض ونشر الوعي الصحي أمر مطلوب شرعاً وقانوناً، وهو يسهم في تعزيز التعايش بين الناس، ففي الحديث عن أبي هريرة، قال: قال

---

[١٢] – انظر: تحية العلم والوقوف للسلام الوطني، في موقع دار الإفتاء المصرية، على الرابط:
https://bit.ly/2TOQnrp

[١٣] – انظر: منهج الفن الإسلامي، ص (١٩٩-٢٠٢)، الطبعة السادسة، ١٩٨٣م، دار الشروق، القاهرة.

[١٤] - انظر الجامع الصغير، للسيوطي، (٤٠٢/٥)، دار الفكر.

رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً). رواه البخاري.[١٥]

٢٦) **الاهتمام بالطبيعة،** كغرس الأشجار، والحفاظ على مصادر الطاقة، وترشيد استهلاك المياه... كلها مطالب شرعية، وهي من العوامل تسهم في تعزيز التعايش السلمي بين الناس.

٢٧) إحياء الأراضي الميتة هو إحدى وسائل الملكية المشروعة في الإسلام، ويملكُ الأرض من أحياها أياً كان دينه، وفي هذا عمارة للأرض، وتشجيع للناس على استثمارها "فمن أحياها أي الأرض الموات ملكها، لحديث جابر يرفعه: (من أحيا أرضاً ميتة فهي له) رواه أحمد والترمذي ... من مسلم وكافر، ذمي مكلف وغيره لعموم ما تقدم"[١٦].

٢٨) **النظافة في البدن والثياب مطلوبة،** وفي الحديث: عن البراء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حقا على المسلمين أن يغتسلوا يوم الجمعة، وليمسّ أحدهم من طيبِ أهله، فإن لم يجد فالماء له طيب). رواه أحمد والترمذي وقال هذا حديث حسن[١٧].

٢٩) **وكذلك نظافة البيئة، ومحاربة التلوث مطلوبة،** ولذلك (يحرم ـ على المسلم ـ بوله وتغوطه في طريق مسلوك، وظل نافع، و ـ مكان ـ مشمس بزمن الشتاء، ومُتَحَدَّث الناس، وتحت شجرة عليها ثمرة، لأنه يقذرها، وكذا في موارد الماء، وتغوطه بماء مطلقاً)[١٨]. ولا شك أن نظافة البيئة هي من العوامل تسهم في تعزيز التعايش السلمي بين الناس.

٣٠) **تربية الحيوانات الأليفة ورعايتها،** ومشاركة من عنده هذا الاهتمام، والحفاظ عليها من الانقراض، ورعاية الحيوانات البرية، ومنع الصيد الجائر، أو قتل الحيوان لمجرد اللهو والتسلية، كل هذا من المطالب الشرعية، وهي من العوامل التي تسهم في تعزيز التعايش السلمي بين الناس، بل يجب حتى رعاية الحشرات غير الضارة، وعدم قتلها لغير ضرورة، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قرصتْ نملةٌ نبياً من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأُحرقتْ، فأوحى الله تعالى إليه: أن قرصتك نملةٌ فأحرقتَ أمةً من الأمم تُسَبِّح؟) متفق عليه[١٩]، وزاد في مسلم: (فهلا نملة واحدة!).

٣١) وكذلك يعتبر الصيد بالجوارح مقوياً للعلاقات بين الناس، "فيباح ما قتلته الجارحة إن كانت مُعلمة سواء كانت مما يصيد بمخلبه من الطير، أو بنابه

---

[١٥] ـ مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (١٢٧٨/٢).
[١٦] ـ الروض المربع، للبهوتي، (٢٣٢/٢) دار الفكر.
[١٧] ـ مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (٤٤٠/١).
[١٨] ـ الروض المربع، للبهوتي، (١٧/١).
[١٩] ـ مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (١٢٠٢/٢).

من الفهود والكلاب، لقوله تعالى: (وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ) [المائدة/ ٤]"[٢٠].

٣٢) الكرم والسخاء والجود بالهبات، وتجوز الهبة شرعاً، وهي إعطاء المال بلا عوض، وهي مما يقوي التواصل والتآلف بين الناس، (وتجوز هبة كل عينٍ تباع، وهبة جزءٍ مشاع منها إذا كان معلوماً، وهبة كلب يقتنى)[٢١].
وعليه: فهبة بعض أنواع الحيوانات الأليفة التي تقتنى ويستفاد منها، هو مما يقوي أواصر العلاقات الاجتماعية.

٣٣) **عمل المسابقات العلمية أو الرياضية أو الفنية،** ووضع المكافآت المادية والحوافز المادية للفائزين، ففي الحديث الذي رواه ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم: (لا سبقَ إلا في خُفٍّ، أو حافرٍ، أو نصلٍ) رواه أحمد وأبو داود وغيرهما[٢٢]. والخف استعارة تدل على الإبل، والحافر يعني الخيل، والنصل يعني الرمي، وعند التسابق بهذه الأشياء ونحوها تقوى العلاقات الاجتماعية، والمسابقات شيء جيد لإيجاد جو إيجابي بين المتسابقين، وكذلك المشجعين، وهي في أمور الرياضة والخدمة العسكرية الإلزامية مما تحفز الناس للدفاع عن أنفسهم وأوطانهم.

***

ثالثاً: مبادئ تربوية من الكتب السماوية تساعد على التعايش الحضاري فمن ذلك:

٣٤) هنالك مجموعة من القيم والمبادئ التي نادت بها الكتب السماوية تساعد على التعايش السلمي داخل المجتمعات الإنسانية، **وهذه المبادئ هي: ١- محبة العمل الصالح. ٢- دفع الهوى والشهوات المحرمة. ٣- الصدقات. ٤- التقوى. ٥- ترك الحسد. ٦- عداوة الشيطان وحده. ٧- القيام بما أمر به الخالق عز وجل. ٨- حسن التوكل على الله.**

ولا شك أن هذه المبادئ تخلص الإنسان من كثير من الشرور والآفات التي تسبب النزاعات في المجتمعات الإنسانية، وتمنحه الطاقة الإيجابية الفاعلة في العلاقة مع الآخرين. وقد استخلصناها من هذا الخبر الذي أورده الإمام الغزالي، حيث قال رحمه الله تعالى: (روي عن حاتم الأصم تلميذ شقيق البلخي - رضي الله عنهما - أنه قال له: شقيق: منذ كم صحبتني؟ قال حاتم: منذ ثلاث وثلاثين سنة. قال: فما تعلمت مني في هذه المدة؟ قال: ثماني مسائل. قال شقيق له: إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم إلا ثماني مسائل؟! قال: يا أستاذ لم أتعلم غيرها وإني لا أحب أن أكذب. فقال هات هذه الثماني مسائل حتى أسمعها.

---

[٢٠] - الروض المربع، للبهوتي، (٣٥٩/٢).
[٢١] - الروض المربع، للبهوتي، (٢٤٣/٢).
[٢٢] - انظر الجامع الصغير، للسيوطي، (٤٢٧/٦).

قال حاتم: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه إلى القبر، فإذا وصل إلى القبر فارقه، فجعلت الحسنات محبوبي، فإذا دخلت القبر دخل محبوبي معي.

فقال: أحسنت يا حاتم! فما الثانية؟ فقال: نظرت في قول الله عز وجل: (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، فإن الجنة هي المأوى) [النازعات/ ٤٠-٤١]. فعلمت أن قوله سبحانه وتعالى هو الحق، فأجهدت نفسي في دفع الهوى، حتى استقرت على طاعة الله .

الثالثة: أني نظرت إلى هذا الخلق، فرأيت كل ممن معه شيء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه، ثم نظرت إلى قول الله عز وجل: (ما عندكم ينفذ وما عند الله باق) [النحل/ ٩٦]. فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله ليبقى عنده محفوظا.

الرابعة: أني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحسب والشرف والنسب ،فنظرت فيها فإذا هي لا شيء، ثم نظرت إلى قول الله تعالى : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) [الحجرات/ ١٣]. فعملت في التقوى حتى أكون عند الله كريماً.

الخامسة: أني نظرت إلى هذا الخلق وهم يطعنُ بعضهم في بعض، ويلعن بعضهم بعضا، وأصل هذا كله الحسد، ثم نظرت إلى قول الله عز وجل: (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) [الزخرف/ ٣٢]. فتركت الحسد واجتنبت الخلق، وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه وتعالى، فتركت عداوة الخلق عني.

السادسة: نظرت إلى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض، ويقاتل بعضهم بعضا، فرجعت إلى قول الله عز وجل: (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) [فاطر/ ٦]. فعاديته وحده ،واجتهدت في أخذ حذري منه، لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدو لي، فتركت عداوة الخلق غيره.

السابعة: نظرت إلى هذا الخلق؛ فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه، ويدخل فيما لا يحل له، ثم نظرت إلى قوله تعالى: (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) [هود/ ٦]. فعلمت أني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها ،فاشتغلت بما لله تعالى علي، وتركت ما لي عنده.

الثامنة: نظرت إلى هذا الخلق، فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق، هذا على ضيعته، وهذا على تجارته، وهذا على صناعته، وهذا على صحة بدنه، وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله، فرجعت إلى قوله تعالى: (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) [الطلاق/ ٣]. فتوكلت على الله عز وجل فهو حسبي.

قال شقيق: يا حاتم وفقك الله تعالى! فإني نظرت في علوم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم فوجدت جميع أنواع الخير والديانة وهي تدور على هذه الثمان مسائل، فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة)[٢٣].

***

رابعاً: الأولويات في التعايش

٣٥) **وفي موضوع التعايش، علينا أن نبدأ بأهل الكتاب، فهم أقرب الناس للمسلمين،** وما أصابهم من هزائم في فترة الصراع بين مكة والمدينة، فهذا كان يحزن المسلمين، وما أصابهم من نصر فهو يفرح المسلمين، وهنالك سورة باسم الروم قد سجلت ذلك في مطلعها، قال تعالى: (الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥). [الروم/١-٥]. ولذلك فهم أقرب المجتمعات من - غير المسلمين - للمسلم كي يتعايش معها.

٣٦) **يمكن للمسلم أن يسمي أبناءه بأسماء الأنبياء والصالحين من أهل الكتاب،** نحو: موسى، وعيسى، ومريم، وداود، وسليمان، ويحيى، وعزير، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:: (تسموا بأسماء الأنبياء). رواه البخاري في الأدب المفرد، والنسائي وأبو داود عن أبي وهب الجشمي[٢٤]. وهذا مما يسهم في توثيق العلاقات الاجتماعية.

٣٧) **يمكن للمسلم أن يقيم علاقة زواج مع أهل الكتاب،** ويتزوج من الكتابيات (اليهوديات أو المسيحيات)، والزواج يقتضي الود والرحمة والعلاقات الاجتماعية.

٣٨) **يمكن للمسلم أن يأكل من طعام أهل الكتاب، وله أن يطعمهم أو يهديهم الطعام،** كما جاء في القرآن الكريم، قال تعالى: (الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُم) [المائدة/٥].

٣٩) **يمكن للمسلم أن يعود مرضى غير المسلمين،** فقد عاد الرسول صلى الله عليه وسلم غلاماً يهودياً. فعن أنس، قال: كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، فمرض، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: (أسلم). فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال: أطع أبا القاسم. فأسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: (الحمدُ لله الذي أنقذه من النار). رواه البخاري[٢٥].

---

[٢٣] - إحياء علوم الدين، للغزالي، علق عليه جمال السيد، (٩٧/١-٩٨)، دار الفجر للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

[٢٤] - انظر الجامع الصغير، للسيوطي، (٢٤٦/٣).

[٢٥] - مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (٤٩٥/١).

٤٠) **يمكن للمسلم أن يقبل هدايا غير المسلمين،** كما قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم هدايا المقوقس حاكم مصر، وهدية سلمان الفارسي قبل أن يسلم، وهدية الشاة المسمومة من امرأة في خيبر.

٤١) **يمكن للمسلم أن يلبس ملابس غير المسلمين دون غسلها،** حتى لو كانت مستعملة، إن جهل حالها، ولم تُعلم نجاستها، وأن يستعمل أدواتهم (لأن الأصل الطهارة، فلا تزول بالشك، وكذا ما صبغوه ونسجوه، وآنية من لابسَ النجاسة كثيراً كمدمني الخمر وثيابهم. وبدن الكافر طاهر، وكذا طعامه وماؤه)[٢٦].

٤٢) **أفتى بعض العلماء بجواز تهنئة غير المسلمين في أعيادهم،** وهي فتوى ملائمة لواقع الحياة وتعزيز فكرة التعايش، منهم مفتي مصر الأسبق الدكتور نصر فريد واصل، حيث قال في موقع دار الإفتاء المصرية رداً على سؤال في هذا الموضوع: "لا مانع شرعًا من تهنئة غير المسلمين في أعيادهم ومناسباتهم، وليس في ذلك خروج عن الدين كما يدَّعي بعض المتشددين غير العارفين بتكامل النصوص الشرعية ومراعاة سياقاتها وأنها كالجملة الواحدة، وقد قَبِلَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم الهدية من غير المسلمين، وزار مرضاهم، وعاملهم، واستعان بهم في سلمه وحربه حيث لم يرَ منهم كيدًا، كل ذلك في ضوء تسامح المسلمين مع مخالفيهم في الاعتقاد، ولم يفرق المولى عز وجل بين من المسلم وغير المسلم في المجاملة وإلقاء التحية وردها؛ قال تعالى :﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ النساء/ ٨٦]، والتهنئة في الأعياد والمناسبات ما هي إلا نوع من التحية"[٢٧].

٤٣) **يمكن للمسلم أن يستعين بالعمالة المحلية أو الأجنبية من غير المسلمين لغرض البناء والتنمية،** إذ يصح "استئجار آدمي لعمل معلوم، كتعليم علم، وخياطة ثوب، أو قصارته، أو ليدل على طريق، ونحوه. لما في البخاري عن عائشة في حديث الهجرة: (واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكرٍ رجلاً هو عبد الله بن أرقط ـ وقيل ابن أريقط ـ كان كافراً من بني الديل هادياً خِرّيتا). والخِرّيت: الماهر بالهداية"[٢٨].

٤٤) يمكن للمسلم ـ عند الضرورة ـ أن يستعين بغير المسلمين في الحرب لدفع أذى أصابه، سواء كان هذا الأذى من البعيد أو من جاره القريب، ففي الحديث عن ذي مخبَر الحبشي، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ستصالحون الرومَ صُلحًا آمنًا، فتغزون أنتم وهم عدوًّا من ورائكم،

---

[٢٦] ـ الروض المربع، للبهوتي، (١٤/١).

[٢٧] ـ موقع دار الإفتاء المصرية، انظر الرابط:
https://bit.ly/2s9cOMw
وانظر أيضاً: تهنئة غير المسلمين في أعيادهم، في موقع الشيخ عبد الله بن بيه، على الرابط:
https://bit.ly/2sRLWB3

[٢٨] ـ الروض المربع، للبهوتي، (٢١٤/٢).

فتنصرونَ، وتغنمون، وتسلَمون، ثم ترجعون...) رواه أبو داود وإسناده صحيح[٢٩].
وقد أفتى بجواز الاستعانة بغير المسلمين مجموعة من علماء المسلمين.

٤٥) **ينبغي احترام الأقليات من غير المسلمين ممن يعيشون مع المسلمين،** فهم مواطنون لهم حقوق المسلمين نفسها، ولا يجوز الاعتداء عليهم، ففي الحديث: (منْ قتل معاهداً لم يرحْ رائحةَ الجنةِ، وإنَّ ريحَها ليوجدُ من مسيرةِ أربعينَ عاماً). رواه البخاري وأحمد والنسائي وابن ماجه، عن ابن عمرو[٣٠].

٤٦) من سماحة الإسلام ويسره أنه أسقط ما كان يفرضه من ضرائب عن كثيرين من غير المسلمين مقابل حمايتهم، وذلك نحو: صغير، وامرأة، ومجنون، ومريض مزمن، وأعمى، وشيخ فان، وخنثى مشكل، وعبدٍ، وفقير يعجز عنها[٣١]، وهذا مما أسهم في تعزيز التعايش قديماً.
وحري بالدول الإسلامية في العصر الحديث إعفاء أمثال هؤلاء من غير المسلمين إذا كانوا يعيشون بين المسلمين من الضرائب ونحوها، وتيسير سبل العيش الكريم لهم، انسجاماً مع روح الإسلام، ودفعاً لتعاضد المجتمع وتلاحمه بكافة مكوناته الدينية.

٤٧) **يجب احترام النساء والأطفال وكبار السن، ورعايتهم، وإعطائهم حقوقهم كافة، وعدم الاعتداء عليهم،** ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الراحمونَ يرحمهم الرحمنُ، ارحمُوا من في الأرضِ يرحمْكم مَنْ في السماء). رواه أبو داود والترمذي[٣٢].

٤٨) **تجب العناية بالأيتام والأرامل والمرضى والأسارى، وذوي الاحتياجات الخاصة، لأن ذاك يسهم في تعزيز التعايش السلمي بين الناس. وقد حث الإسلام على إكرام هؤلاء،** فعن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا وكافلُ اليتيمِ لهُ ولغيره[٣٣] في الجنة هكذا) وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً. رواه البخاري[٣٤]. وعن أبي موسى، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أطعموا الجائعَ، وعودوا المريضَ، وفكوا العاني). رواه البخاري[٣٥].

---

[٢٩] - مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (١٤٩٥/٣)، رقم الحديث: ٥٤٢٨.
[٣٠] - انظر: الجامع الصغير، للسيوطي، (١٩٣/٦).
[٣١] - انظر: الروض المربع، للبهوتي، (١٦٠/١).
[٣٢] - مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (١٣٨٧/٣)، رقم الحديث: ٤٩٦٩.
[٣٣] – قوله: (لهُ): أي يتيم يقربه. وقوله: (ولغيره): أي يتيم لأجنبي ليس له قرابة.
[٣٤] - مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (١٣٨٤/٣-١٣٨٥).
[٣٥] - مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (٤٨٣/١).

٤٩) **ينبغي مراعاة مقتضيات العمل،** فقد ترك بعض الصحابة رضي الله عنهم بعض السنن في سبيل الشغل، ومنهم عقبة الجهني الذي صرح بتركه لركعتي سنة قبل صلاة المغرب بسبب الشغل. والحديث رواه البخاري[٣٦].

٥٠) **ينبغي تيسير العمل الشريف أمام المرأة إذا احتاجت إليه، أو إذا احتاج المجتمع إلى خدماتها،** فقد شَغَّل بعضُ الصحابة بعضَ النساء كموظفاتٍ في التجارة، وفي هذا تيسير على الناس في إيجاد اليد العاملة، ودفع للمرأة إلى سوق العمل والكسب الشريف، ففي الحديث عن أبي بَكْرِ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، قَالَ: كَانَتْ لِمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، جَارِيَةٌ تَبِيعُ اللَّبَنَ، وَيَقْبِضُ الْمِقْدَامُ الثَّمَنَ، فَقِيلَ لَهُ: سُبْحَانَ اللهِ؛ أَتَبِيعُ اللَّبَنَ وَتَقْبِضُ ثمنه؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَا بَأْسٌ بِذَلِكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: (لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَنْفَعُ فِيهِ إِلَّا الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ). رواه أحمد[٣٧].

***

خامساً: صفات وسلوكيات تساعد على التعايش

٥١) **وهناك مجموعة من الصفات والقيم النبيلة تساعد على التعايش المشترك وقبول الآخر،** وذلك كالرفق والتسامح والكرم، والشجاعة، والتفاؤل والتكافل، والتغافل والمداراة، والعفو وكظم الغيظ، والستر والنصيحة برفق لمن تعدى حدود الآداب.

٥٢) **والصدق والأمانة مفتاح القلوب،** وسبيل الوصول إلى الآخرين وكسب ثقتهم ومحبتهم، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم موصوفاً في قومه قبل البعثة بالصادق الأمين، وقد سهل هذا قبول دعوته بين الناس، ولذلك قال هرقل لأبي سفيان بعدما سأله عن أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته: (وسألتك: هل كنتم تتهونه بالكذبِ قبل أن يقولَ ما قال؟ فزعمت أن لا، فعرفتُ أنه لم يكنْ ليدعَ الكذبَ على الناسِ ثم يذهبَ فيكذبَ على الله). متفق عليه[٣٨].

٥٣) **والمظهر الحسن مطلوب شرعاً،** لذا ينبغي أن يكون المسلم نظيف المظهر، طيب الرائحة، نظيف الأسنان، دائم الابتسامة، عذب الكلام... وكذلك ينبغي أن تكون وسيلة النقل التي يستعملها من سيارة أو دراجة نظيفة، فقد قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إنَّكم قادمونَ على إخوانكم، فأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ، وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ، حَتَّى تَكُونُوا كَأنكم شَامَةٌ فِي النَّاسِ). رواه أحمد والحاكم والبيهقي عن سهل بن الحنظلية[٣٩].

---

[٣٦] - انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، بتحقيق الألباني، (٣٧٠/١)، رقم الحديث: ١١٨١.
[٣٧] - انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (٨٤٧/٢)، رقم الحديث: ٢٧٤٨.
[٣٨] - انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (١٦٣٢/٣-١٦٣٤)، رقم الحديث: ٥٨٦١.
[٣٩] - انظر: الجامع الصغير، للسيوطي، (٥٥٥/٢).

٥٤) **والوجه البشوش مع الابتسامة سبيل نيل ثقة الآخرين ومودتهم،** وهي ينبغي أن تكون صفة المسلم، إذ تُعتبر صدقة يثاب المرء عليها، ففي الحديث: عن أبي ذر، قال: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تبسمُكَ في وجهِ أخيكَ صَدقةٌ). رواه الترمذي[٤٠].

٥٥) **<u>والكلمة الطيبة ضرورية جداً</u>،** لا سيما مثل كلمة: شكراً، ولو سمحت، وآسف، ومن فضلك، ويرحمك الله للعاطس، وكذلك كلمات التحية كالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأسعد الله صباحكم، وصباح الخير، ومساء الخير، ولا بأس عليك للمريض... كل هذا مطلوب في التواصل مع الناس، وبخاصة إفشاء السلام، فهو ضروري للتواصل مع الناس بسلاسة، ومرغوب به شرعاً، فعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اعبدوا الرحمنَ، وأطعموا الطعامَ، وأفشوا السلامَ، تدخلوا الجنة بسلامٍ) رواه الترمذي وابن ماجه[٤١].

٥٦) **والصبر مهم جدا في التعايش مع الناس،** قال تعالى: (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ) [النحل/١٢٧]. وورد عن علي ـ رضي الله عنه ـ قوله: (الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا جسدَ لمن لا رأس له، ولا إيمان لمن لا صبر له)[٤٢].

٥٧) **ينبغي فهم الحياة بأنها قائمة على التنوع والتعدد،** والمجتمعات فيها الصالح والرديء، والبر والفاجر، والصديق والعدو، وعلى المرء أن يتعايش مع الجميع، ويتقبل التعايش حتى مع أعدائه، فهذا أمر ضروري جداً، وتقبل الآخرين مرتبة عظيمة تحتاج تدريبات نفسية وقوة إرادة، ولله در المتنبي حين قال[٤٣]:

ومنْ نكدِ الدنيا على الحرّ أن يرى

عدواً لهُ مـــــــا منْ صداقتِهِ بُدُّ

٥٨) **<u>ومواساة الناس بالمال والصدقات والهدايا، كل ذلك مما ينمي علاقات المودة والترابط فيما بينهم</u>،** ففي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تصدقوا، فإنَّ الصدقةَ فكاكُكمْ من النار)[٤٤]. وقال أيضاً: (تهادوا تحابوا). رواه النسائي والبخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة، وسنده حسن [٤٥].

---

[٤٠] ـ انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (٥٩٦/١-٥٩٧)، رقم الحديث: ١٩١١.
[٤١] ـ انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (٥٩٦/١)، رقم الحديث: ١٩٠٨.
[٤٢] ـ إحياء علوم الدين، للغزالي، علق عليه جمال السيد، (٨٣/٤).
[٤٣] ـ انظر: مختارات البارودي، مشروع المكتبة الجامعة٢، (٣٦/١)، مكة المكرمة.
[٤٤] ـ انظر: الجامع الصغير، للسيوطي، (٢٤٦/٣).
[٤٥] ـ انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، (٢٧١/٣).

٥٩) يجوز الدفع من أموال الزكاة لكل من يرجى إسلامه، كما يمكن دفعها لصرف شر وأذى من يعادي المسلمين، وتدفع كذلك لمن أسلم حديثاً، قال تعالى في مصارف الزكاة (والمؤلفةِ قلوبُهم) [التوبة/ ٦٠]. والمؤلفة (جمع مؤلف، وهو السيد المطاع في عشيرته، ممن يرجى إسلامه، أو كف شره، أو يرجى بعطيته قوة إيمانه، أو إسلام نظيره، أو جبايتها ممن لا يعطيها، أو دفع عن المسلمين، ويعطي ما يحصل به التأليف عند الحاجة فقط)[٤٦].

٦٠) **وينبغي للمسلم أن يكون حكيما، ويراعي خصوصيات الناس، ويتجنب بعض السلبيات في تعامله مع الآخرين، فلا يدخل في مهاترات وسباب آلهة المشركين ومعتقداتهم،** كما قال تعالى: (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم). [الأنعام/ ١٠٨].

٦١) **ويجب على المسلم تأمين الراحة النفسية والجسدية والبيئية لكافة من ولَّاه الله أمرهم، أو من يتعامل معهم،** ويجتنب أي شيء قد يؤذيهم، وإنما يعود للقضاء أو المحاكم في حالة وجود مخالفات منهم، ومن ثم لا ضرر ولا أذى من قبل إنسان لأخيه الإنسان في المجتمع.
وهذا واجب الحكومات أيضاً، فهي يجب أن تحمي الناس وترعاهم، وتمنع استخدام أية وسيلة من وسائل التعذيب النفسي والجسدي مع الآخرين. ففي الحديث: (إن الله يعذبُ الذين يعذبون الناسَ في الدنيا). رواه مسلم عن هشام بن حكيم[٤٧].

٦٢) **وينبغي الدعاء للناس بالخير،** وعدم الدعاء عليهم بالشر، اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، فقد قَدِمَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدوسي، إِلَى رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ دَوْسًا[٤٨] قد عَصَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِم[٤٩].فظنَّ الناسُ أنهُ يدعو عليهم، فقَالَ: (اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَائتِ بِهِمْ). متفق عليه، عن أبي هريرة.[٥٠]

٦٣) **وينبغي أن يكون المسلم سهلاً في تعاملاته رفيقاً دمثاً، وأن يلين كلامه وأسلوبه مع الناس جميعاً، وبخاصة مع الحكام، والمسئولين،** قال تعالى: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً) [البقرة/ ٨٣].
بل وكذلك مع الطغاة، وجنودهم، عملا بأمره تعالى لسيدنا موسى وأخيه هارون، وذلك عندما أرسلهما إلى فرعون: (فقولا له قولا لينا) [طه/٤٤].

٦٤) **وعليه أن يجتنب الصفات السلبية المنفرة جميعها،** وذلك كالغيبة والنميمة، والهمز واللمز، والصخب والضجيج، والكذب والغدر والخيانة والتجسس ... يجتنب ذلك كله في حياته الخاصة، وحياته الاجتماعية.

---

[٤٦] - الروض المربع، للبهوتي، (١١٩/١).
[٤٧] - مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (١٠٥٤/٢).
[٤٨]- اسم لقبيلة عربية، منها أبو هريرة رضي الله عنه.
[٤٩] - أي بوقوع العذاب.
[٥٠] - انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (١٦٩٣/٣)، رقم الحديث: ٥٩٩٦.

٦٥) **وعليه اجتناب الروائح الكريهة،** ومسبباتها كأكل الثوم والبصل عند مخالطة الناس، وذلك امتثالاً للتوجيه االنبوي الكريم في هذا الموضوع. فعن جابر، أن النبـي صلى الله عليه وسلم قال: (من أكل ثوما أو بصلا، فليعتزلنا) أو قال: (فليعتزل مسجدنا، أو ليقعد في بيته). من حديث متفق عليه[٥١].

٦٦) **وعليه اجتناب القسوة والفظاظة والغلظة في أقواله وأفعاله، فذلك مما ينفر الناس،** وقد نبه الله تعالى نبيه الكريم إلى ذلك، فقال تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) [آل عمران/ ١٥٩].

***

سادساً: التعايش في داخل المجتمع

٦٧) **يجب احترام الشريعة، والقانون العام، والأعراف السائدة،** والاحتكام إلى القضاء، والابتعاد عن كل ما يخل بالحياة العامة ونظامها الاجتماعي، ولو كان في هذا النظام أمور غير مقبولة نفسياً، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، يسجد عند الكعبة، وهي مكتظة بالأصنام، فلم يكسر صنماً، ولم يأمر أصحابه بذلك، وإنما أمرهم بالصبر، وهذا ما تقتضيه مصلحة الدعوة، وهو مراعاة الحالة العامة للمجتمع، ومدى تقبله للتغييرات الإيجابية أو رفضه لها.

٦٨) **يجب احترام ولاة الأمور، وطاعتهم في غير معصية،** قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) [النساء:٥٩].

٦٩) الملوك والحكام هم عبيد عند رب العالمين، هو الذي وهبهم الملك، وهو الذي ينزع الملك منهم متى شاء، وهو الذي يشد ملكهم كما قال تعالى عن داود عليه السلام : (وشددنا ملكه) [ص/ ٢٠]. ولا يستطيع أحد نزع الملك منهم إلا إذا شاء الله تعالى. وهم مبتلون بهذا الأمر، مستعدون لفعل كل شيء في سبيل بقائه، ولذلك ينبغي للعاقل أن لا يحسد أحدا على (أن آتاه الله الملك) [البقرة/ ٢٥٨]، لأن نزع الملك يشبه نزع الروح، ولا عجب أن يدافع صاحب الملك عن ملكه بشتى الوسائل والأساليب ولو كانت قاسية وغير لائقة.

٧٠) **تحصين المُلْكِ والدول والمجتمعات من الفتن والحروب إنما يكون بالعدل، وسيادة القانون،** وأما إذا شاع الظلم بين الناس فهذا إيذان بذهاب الدول وإبادتها، وهلاك البشر والحجر، قال تعالى: (وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً) (الكهف:٥٩).

---

[٥١] - مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (١٢١٥/٢).

٧١) **كل ما ورد في موضوع الجهاد في سبيل الله في الكتاب والسنة هو من اختصاص ولي الأمر،** أو الدولة، وليس من وظائف الأفراد، (والجهاد فرض كفاية، إذا قام به من يكفي سقط عن سائر الناس، وإلا أثم الكل)[٥٢].
وعليه الجهاد وقوانينه في الإسلام ليس عبادة فردية، وإنما هو بمثابة القوانين التي تنظم شئون وزارات الحرب والدفاع في الدول الحديثة، ولا ينبغي لأي فرد أن يجعل من نفسه حاكما، ويقوم بتنفيذها بمفرده، فهذا خلط بين وظائف الفرد والمجتمع، ووظائف الحاكم والمحكوم.. وإنما على المسلم القيام بما نيط به من تكاليف الصلاة والزكاة والصيام والحج ونحو ذلك من العبادات، وعليه التقيد بالآداب والضوابط الشرعية في سلوكه ومعاملاته.
وللجهاد آدابه الشرعية التي ينبغي أن يلتزم بها الحاكم وجنوده، فهو ليس ثأراً ولا انتقاماً، وإنما هو تحرير للشعوب من ظلم طغاتها، حتى يعيشوا بحرية وكرامة ومحبة ووئام... ومن آداب الجهاد ما روى أنس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلا صغيراً، ولا امرأة، ولا تغُلُّوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا، وأحسنوا؛ فإن الله يحب المحسنين). رواه أبو داود[٥٣].

٧٢) **وما عهدنا نبيا أو رسولا قاتل قومه حين كان ساكنا معهم،** فهنالك خمسة وعشرون رسولاً كريماً قد ذكرهم القرآن الكريم، كلهم تعايشوا مع أقوامهم وفق قوله تعالى: (لكم دينكم ولي دين) [الكافرون/٦]. ولم يرفعوا سيفاً ضد قومهم حرصاً على الأمن العام، وإن ما حصل من حروب وغزوات بعد الهجرة إنما كانت بين دولتين: دولة المدينة ودولة مكة، وللحروب بين الدول أسبابها، ولم تكن حروبا بين أفراد مسلمين ومجتمعاتهم، فقد كان هنالك مؤمنون بمكة لم يهاجروا، ولم يقاتلوا قريشاً، ولم تنتقم منهم قريش، فحرية الأديان من حق الناس.

٧٣) **لا يجوز للمسلم أن يقتل نفسَه لأي سبب كان،** قال تعالى: (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما) [النساء/ ٢٩]. وكل عمل إرهابي، يقوم به إنسان بتفجير نفسه بين الناس، هو عمل مشين قبيح، وقد يكون انتحارا، وفي كل الأحوال هو عمل مرفوض في الإسلام، ولا ينبغي لأي جهة علمية أن تمنح لنفسها صلاحية تعطيل النصوص الصريحة في تحريم الانتحار، وذلك لكي تشرعن القتل بهذه الطريقة البشعة، فالمسلم جاء لهذا العالم يحمل الخير، كحامل المسك، وأي خير فيمن يقتل نفسه كي يقتلَ الآخرينَ؟ هذا حامل موت وهم وقهر ودخان، إنه كنافخ الكير الذي يجب الابتعاد عنه، وقد جاءت أحاديث كثيرة في تحريم الانتحار، منها ما روي عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدا فِيهَا أَبَدا. وَمَنْ شَرِبَ سَمّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدا مُخَلَّدا

---

[٥٢] - الروض المربع، للبهوتي، (١٥٧/١).
[٥٣] - انظر: مشكاة المصابيح، (١١٥٦/٢)، الحديث: (٣٩٥٦).

فِيهَا أَبَدا. وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدا مُخَلَّدا فِيهَا أَبَدا). متفق عليه[٥٤].

٧٤) **إن تنفيذ الحدود والأحكام من قصاص ونحوه، هو من وظائف الدول لا الأفراد،** (والحدود جمع حد، وهو لغة المنع، وحدود الله محارمه، واصطلاحاً: عقوبة مقدرة شرعاً في معصية، لتمنع الوقوع في مثلها... فيقيمه الإمام ـ الحاكم ـ أو نائبه، مطلقاً، سواء كان الحد لله كحد االزنا، أو لآدمي كحد القذف، لأنه يفتقر إلى اجتهاد، ولا يؤمن من استيفائه الحيف، فوجب تفويضه إلى نائب الله في خلقه)[٥٥].

وعليه: فلا ينبغي للمسلم أن يجعل من نفسه مفتياً وقاضياً وحاكماً في آن واحد، فيخلط بين واجباته التي أمره الله بها، وواجبات ولي أمر المسلمين، وهو الحاكم أو الخليفة ومن ينوب عنه.

٧٥) **إن قراءة النصوص الشرعية وفهمها علم قائم بذاته، ولذلك ينبغي الحذر في تأويل النصوص الشرعية، فهي حمالة أوجه،** وهذا يقتضي اتباع المنهج السليم ومعرفة القواعد العلمية في التفسير، وينبغي قراءة كتب التفسير المألوفة كتفسير البغوي، وابن كثير ، والبيضاوي، والجلالين... وتجنب من يؤولون النصوص تأويلات مشبوهة باطلة، لم يقل بها الراسخون في العلم، ليحكموا على الناس بالردة والنفاق، فيستبيحوا ما حرم الله من حرمة الدماء والأعراض والأموال.

٧٦) **لا تفرض الشريعة الإسلامية السمحة على المسلم شيئا فوق طاقته، قال تعالى:** (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ) [البقرة/٢٨٦]. وقال تعالى: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ) [الحج/٧٨].

وعليه: فلا يجب على المسلم إلا الالتزام بدينه، والدعوة إليه قدر الاستطاعة.

٧٧) **يجب تجنب كل دعوة سرية تعمل في الظل مخالفة للشريعة والقانون،** قال عمر بن عبد العزيز: (إذا رأيتَ قوماً يتناجون في دينهم بشيءٍ دون العامة ـ وفي رواية: متسترين عن أعينِ الناسِ ـ فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة) [٥٦].

وقد يقال: إن الإسلام بدأ دعوة سرية... والجواب: صحيح أن الإسلام بدأ سرا، ولكن انتهت تلك المرحلة، ولم نسمع أن دعاة الإسلام اختبؤوا بعد ذلك، فقد ضرب الإسلام جذوره في الأرض، وعم نوره كل مكان، قال تعالى مخاطبا نبيه

---

[٥٤] ـ اللفظ لمسلم، وقد ورد الحديث في كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة. ورقمه ١٠٩. وأخرجه البخاري في كتاب الطب، باب شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث.

[٥٥] ـ الروض المربع، للبهوتي، (٣٤٥/٢).

[٥٦] – انظر: ملتقى أهل الحديث، على الرابط:
https://bit.ly/37raWOQ

صلى الله عليه وسلم: (وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً) [الفتح:٣]. ووعد سبحانه بإظهار دينه، فقال: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) [التوبة:٣٣]. وقد تم ذلك كله والحمد لله!

٧٨) **ينبغي تجنب كل أنواع التطرف الديني والطائفي والمذهبي والعرقي، وكذلك تجنب أبواقه ومؤسساته،** فهو الذي يُوَّلد في القلب مرضَ الكراهية للمجتمع، والقلق من المستقبل، والرؤية السوداوية للواقع، والرغبة في الانتقام؛ وهذا مرض نفسي يجعل المرء في فصام نكد مع المجتمع؛ ولذلك نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن التشدد والغلو لما يورثان صاحبهما من التطرف والعنف، فقد روى ابن مسعود، قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (هلك المتنطعون[٥٧]) قالها ثلاثاً[٥٨]، وروى أنس، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقول: (لا تُشددوا على أنفسكم؛ فيشدد الله عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم، فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ)[الحديد: من الآية٢٧].) [٥٩].

٧٩) **يجب اتباع الجمهور، وتجنب الشقاق والشذوذ عن المجتمع، وبخاصة ممن يعيش في بلد مسلم،** حيث تجد السواد الأعظم فيه يحبون الشريعة، ويعلنون ولاءهم لها، وفي الحديث الشريف: (وعليكم بالجماعة والعامة)[٦٠]، فهؤلاء الأكثرية هم الجماعة، وليسوا قطيعاً كما يسميهم بعض من يغردون خارج السرب.. فلا يجوز تكفير المسلمين والخروج عليهم بسبب استجابتهم للقوانين الوضعية التي كانت نتيجة ظروف لم يصنعوها بشكل مباشر، وإنما جاءت عبر ظروف تاريخية واجتماعية معقدة، يقول الأستاذ محمد قطب: (المعصية ـ بغير استحلال ـ لا تنقض أصل الالتزام، ولا تخرج الناس من الإسلام، ما داموا يقرون بالأمر المنزل من عند الله، ولا يجعلون مخالفتهم له تشريعا مضاهيا لشرع الله، أوقائما بذاته مناقضا لشرع الله)[٦١].

٨٠) **ينبغي مشاورة أهل الرأي والخبرة،** لأن الشورى تعزز مكانة الفرد في المجتمع، وهي ضرورية للأفراد في أمورهم الشخصية، كما هي ضرورية للحكومات في أمور مجتمعاتهم وقيادتها أيضاً، لذا يجب اجتناب الاستبداد، وأن يكون الأمر شورى بين الناس، فهذا مما يخفف الاحتقان الشعبي، ويعزز التفاهم الاجتماعي، وهنالك سورة قرآنية كاملة سميت باسم الشورى، وهذا مما يعزز أهمية الشورى التي لا غنى لأحد عنها حتى الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام. قال تعالى آمراً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالشورى: (وشاورهم في الأمر) [آل عمران/ ١٥٩].

---

[٥٧] ـ المتنطعون: المبالغون في الأمور.
[٥٨] ـ رواه مسلم، انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (١٣٥٠/٣).، رقم الحديث: ٤٧٨٥.
[٥٩] ـ رواه أبو داود، انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (٦٤/١).، رقم الحديث: ١٨١.
[٦٠] ـ رواه أحمد عن معاذ بن جبل، انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (٦٥/١)، رقم الحديث: ١٨٤.
[٦١] ـ واقعنا المعاصر، ص (٣٥). مؤسسة المدينة للصحافة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

٨١) **وللتسهيل على المسلم في حياته الشخصية والاجتماعية؛ شرع له الشارع الحكيم عددا من الرخص، فمن ذلك:**

a) **الرخصة للمريض والمسافر بالإفطار في رمضان؛** قال الله تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة/ ١٨٤]. ولا شك أن الإفطار للمريض يساعده على الشفاء، وتناول الأدوية في مواعيدها المحددة، ويقيه من الجفاف، وهو بهذا يخفف العبء عن نفسه ومن يرعاه، وبخاصة إذا كان نزيلاً في مستشفى. والإفطار للمسافر يساعده على إنجاز مهامه بصورة أفضل، وبخاصة إذا كان منتدباً لمؤسسة في مهمة رسمية.

b) **وكذلك الرخصة للمسافر بقصر الصلاة؛** قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [النساء/ ١٠١]. وقصر الصلاة مع الجمع يدفع مشقة الوضوء والبحث عن مكان للصلاة عند السفر، فهو ما إن يجد مكاناً ما، يستطيع أن يصلي وقتين معاً جمعاً وقصراً (الظهر والعصر معاً، والمغرب والعشاء معاً) تقديماً أو تأخيراً، وبهذا لا يتأخر عن موعد سفره أو رحلته أو قافلته، فلا يقع في الحرج أمام الآخرين.

c) والرخصة للمصلي بالصلاة قائماً أو قاعداً أو على جنب، بحسب استطاعته، والاستطاعة تشمل القوة البدنية والمكان والظرف، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جَنْبٍ). رواه البخاري[٦٢]، عن عمران بن حصين. ويمكن للمصلي أن يصلي في الطائرة على كرسيه قاعداً، ولا يُفوت الصلاةَ.

d) كذلك الرخصة بالتيمم عند عدم وجود الماء، أو العجز عن استعماله بسبب البرودة الشديدة ونحو ذلك، قال تعالى: (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً) [النساء/ ٤٣].

e) يمكن للمرء أن يمسح على الخفين أو الجوربين عند الوضوء بدلاً من غسلهما، ومدة المسح هي يوم وليلة للمقيم، وثلاثة أيامٍ بلياليها للمسافر[٦٣]، وهذا من تيسير الشريعة على العباد.

f) ويصح المسح في الوضوء على العمامة، والجبيرة، وعلى خمر النساء مدارة تحت حلوقهن، لمشقة نزعها كالعمامة[٦٤].

g) شرع سجود السهو (لزيادة سهواً، أو نقصٍ سهواً، أو شك في الجملة، لا في عمد)[٦٥].

---

[٦٢] - انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (٣٩٢/١)، رقم الحديث: ١٢٤٨.
[٦٣] - انظر: الروض المربع، للبهوتي، (٢٢/١).
[٦٤] - انظر: الروض المربع، للبهوتي، (٢٣/١).

h) في عملية التطهير في البلدان الأجنبية وبخاصة في المطارات والأماكن العامة حيث لا يوجد ماء في دورات المياه، وإنما يُستعمل الورق والمناديل كبديل، وفي هذه الحالة يجد بعض المسلمين مشقة في استعمال الماء، ولا حرج في الاكتفاء بالمناديل، إذ (يجزئه الاستجمار حتى مع وجود الماء، لكن الماء أفضل ... ويشترط للاكتفاء بالاستجمار ثلاث مسحات منقية فأكثر، إن لم يحصل بثلاث، ولا يجزئ أقل منها)[٦٦].

i) **وكذلك الرخصة للحائض في ترك طواف الوداع؛** مما يسهل لها العودة لأسرتها ورعاية أطفالها، وكذلك الالتحاق بعملها لو كانت موظفة، فقد روى ابن عباس رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا ينفرنَّ أحدُكم، حتى يكونَ آخرُ عهدِهِ بالبيتِ، إلاَّ أنهُ خُففَ عنِ الْحَائِضِ). متفق عليه[٦٧].

j) **وكذلك الرخصة في لبس الحرير لمن احتاج إليه؛** فلا يشعر بالحرج أمام الناس إذا كانت عنده بعض الأمراض الجلدية التي تستدعي لبس الحرير، فعن أنس رضي الله عنه، قال :(رَخَّصَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لِلزُّبَيْرِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بن عوف فِي لُبْسِ الحَرِيرِ، لِحِكَّةٍ بِهِمَا). متفق عليه[٦٨].

٨٢) **يجب الابتعاد بالدين عن الأهواء السياسية،** فلا يعدو المسلم أن يعيش في أحد مجتمعين:

الأول: ضمن بلد إسلامي يكون الحاكم والمحكوم مسلمين، وهنا لا يمكن لأحد أن يزاود على الآخر في موضوع الدين، وفي هذا الصدد لا بد أن نقول على هامش الأحداث الساخنة في العالم الإسلامي الآن: أصلح الله علماء ومشايخ الهدم والدم، سواء منهم مشايخ البلاط، أولئك الذين أباحوا للسلاطين قتل شعوبهم التي تتوق لحياة أفضل، وصنفوا طلاب الحرية كخوارج، أو مشايخ الرعية، أولئك الذين أباحوا للشعوب قتال سلاطينهم، وصنفوا الحكام كطغاة...
وكانت النتيجة للصراع أن ضعف السلطان، وزاد الطوفان، وتشردت الشعوب، واحترقت الأوطان، بنيران فتن وحروب لا تكاد تهدأ أبدا...
وكان يجب على العلماء والمشايخ إصلاح ذات البين، وأن لا يكونوا من البداية متموضعين مع طرف ضد آخر، فهم مرجعية للجميع، ويجب أن يكونوا بمثابة الآباء الذين يصلحون بين أولادهم، وذلك عملاً بقوله تعالى: (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) [الحجرات/ ١٠].

---

[٦٥] - الروض المربع، للبهوتي، (٥٩/١).
[٦٦] - الروض المربع، للبهوتي، (١٧/١) .
[٦٧] - انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (٨١٩/٢)، رقم الحديث: ٢٦٦٨.
[٦٨] - انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (١٢٤٢/٢)، رقم الحديث: ٤٣٢٦.

الثاني: أن يعيش في مجتمع متعدد الثقافات والأديان، وفي هذه الحالة لا يمكن له أن يفرض دينه على الآخرين، مثلما هو يرفض أن يفرض الآخرون أديانهم علي، وذلك لأن الأديان والعقائد لا تفرض بالقوة...

وهكذا نجد أنه ليتعايش الناس فيما بينهم في شتى المجتمعات ينبغي احترام الدين، وعدم المتاجرة به، ويجب فصل الدين عن الأهواء، وعدم استغلاله للدعاية في اللعبة السياسية.

***

سابعاً: التعايش وقت الفتن والأزمات والحروب والكوارث

٨٣) **وفي أوقات الحروب الأهلية، والفتن الداخلية، والمحن الساحقة الماحقة، وحين يلتبس الحق بالباطل، ويصبح الحليمُ حيرانَ، سواء أكانت الأحداث تجري في بلد مسلم أو غيره، فيشرع للمسلم** أن يغادر وطنه عند الخوف على نفسه، كما قال سيدنا موسى لفرعون ومعشره: (ففررت منكم لما خفتكم) [الشعراء/٢١].

٨٤) يمكن للمسلم أن يعيش في أي بلد فيها عدل ولو كانت غير وطنه، أو يهاجر إليها، كما هاجر المسلمون الأوائل إلى الحبشة مرتين، وذلك لأن فيها ملكاً عادلاً، وهو أصحمة النجاشي، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم حين مات النجاشي: (مات اليوم رجل صالح، فقوموا فصلوا عل أخيكم أصحمة). رواه البخاري[٦٩].

٨٥) **والهجرة قد تكون حلاً، وللهجرة أحكامها؛** فتجب الهجرة على الخائف على نفسه ودينه وهو يقدر عليها، إلى بلد مسلم أو آمن، ولا تجب الهجرة إلى بلاد الإسلام على من أقام في بلاد غير المسلمين إذا كان مستضعفاً عاجزاً عنها، أو إذا تمكن من إظهار دينه، وفي هذا الصدد قال ابن قدامة وهو يعدد أحوال الناس مع الهجرة: (فالناس في الهجرة على ثلاثة اضرب: أحدها: من تجب عليه وهو من يقدر عليها ولا يمكنه اظهار دينه، ولا تمكنه اقامة واجبات دينه مع المقام بين الكفار، فهذا تجب عليه الهجرة، لقول الله تعالى: (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) [النساء/٩٧]. وهذا وعيد شديد يدل على الوجوب ولأن القيام بواجب دينه واجب على من قدر عليه، والهجرة من ضرورة الواجب وتتمته، وما لا يتم الواجب به فهو واجب.

الثاني: من لا هجرة عليه، وهو من يعجز عنها إما لمرض، أو إكراه على الإقامة، أو ضعف من النساء والولدان أو شبههم، فهذا لا هجرة عليه، لقوله تعالى: (إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا

[٦٩] - انظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب موت النجاشي.

يَهْتَدُونَ سَبِيلًا، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً) [النساء/ ٩٨-٩٩].
الثالث: من تستحب له، ولا تجب عليه، وهو من يقدر عليها، لكنه يتمكن من إظهار دينه، وإقامته في دار الكفر، فتستحب له ليتمكن من جهادهم، وتكثير المسلمين ومعونتهم، فيتخلص من تكثير الكفار ومخالطتهم ورؤية المنكر بينهم، ولا تجب عليه لإمكان إقامة واجب دينه بدون هجرة، وقد كان العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم مقيماً بمكة مع إسلامه)[٧٠].

٨٦) **ويمكن للمسلم أن يكتم إيمانه إذا اضطر إلى ذلك،** ولو كان يعيش في عرين الكفر، كما هو حال مؤمن آل فرعون، وقد شهد الله تعالى له بالإيمان كما جاء في سورة غافر، الآية (٢٨): (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه).

٨٧) **وله أن يعتزل الناس، كما هو حال أهل الكهف، وقد خلد الله تعالى ذكرهم في سورة كريمة سميت باسمهم، وهي تؤيد ما فعلوه،** والعزلة خير للمسلم من الانخراط في الفتن والمؤامرات السياسية، أو الحروب الطائفية، ففي هذه الحالات عليه أن يكون حلْسَ بيته عند الفتن، روى أبو موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن بين يدي الساعة فتناً كقطعِ الليلِ المظلم، يصبحُ الرجلُ فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، القاصدُ فيها خيرٌ من القائم، والماشي فيها خير من الساعي، فكسِّروا فيها قِسِيَّكم، وقطِّعوا فيها أوتاركم، واضربوا سيوفَكم بالحجارة، فإن دُخلَ على أحدٍ منكم، فليكنْ كخير ابني آدم). رواه أبو داود. وفي رواية له: ذكر إلى قوله: (خير من الساعي). ثم قالوا: فما تأمرنا؟. قال: (كونوا أحلاسَ[٧١] بيوتكم). وقال في رواية الترمذي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الفتنة: (كسِّروا فيها قِسِيَّكم، واقطعوا فيها أوتاركم، والزموا فيها أجوافَ بيوتكم، وكونوا كابن آدم). وقال: هذا حديث صحيح غريب[٧٢].

٨٨) **وله أن يسكت ظاهريا خشية وقوع الفتنة، وإن وجد فرصة فقد ينكر بلسانه، وإن لم يستطع أنكر بقلبه،** ولم يفعل ضجيجاً في المجتمع يؤدي إلى فوضى، وذلك كما هو حال النبي هارون عليه السلام، فهو لم يحارب قومه على عبادة العجل خشية من تفرقهم، أو أن يقتلوه، قال تعالى يحكي قصته: (قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي) [سورة طه/٩٤]. وهنا قد يقال: إن الشهادة في سبيل الله مطلب عظيم. وهذا صحيح، لكن يجب أن لا تكون سببا في هلاك الأمة وتفرقها، فأي مستقبل لأمة تقتل أنبياءها؟!.

٨٩) **وله أن ينحني للعاصفة قليلا، وذلك حرصا على حياته، أو بسبب ضعفه، ولو أدى هذا إلى أن يتظاهر بغير ما يعتقد،** وأن ينطق بما يريده الكافرون منه أن يقوله

---

[٧٠] - المغني (٤٥٧/٨)، دار الفكر، بدون تاريخ.
[٧١] - الحِلْسُ: ما يُبسط في البيت من حصير ونحوه تحت كريم المتاع. وهو حِلْسُ بيته: لا يبرحُه.
[٧٢] - مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (١٤٨٦/٢)، رقم الحديث: ٥٣٩٩.

بلسانه، فيفعل ذلك كرهاً لا طوعاً، كما قال تعالى: (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [سورة النحل/١٠٦].

٩٠) **ولا بأس على المسلم أن يستخدم قليلا من التعريض أو التورية لدفع الأذى، كما فعل قال الخليل عليه السلام فيما ذكر أنه كذباته الثلاثة**، وقد كانت الأولى قوله في الأصنام: (بل فعله كبيرهم هذا) [الأنبياء/ ٦٣].وذلك أنه لما كسرها سألوه: (قالوا أأنتَ فعلتَ هذا بآلهتنا يا إبراهيم) [الأنبياء/ ٦٢].
والثانية: (قوله إني سقيم) [الصافات/ ٨٩]. لما تخلف عن الذهاب إلى أصنامهم مروا عليه، فقال لهم: (إني سقيم). يُوهِم أنه مريض، وهو ليس بمريض، ولكنه أسقمه كفرهم وشرهم.
والثالثة: عندما سأله الطاغية عن سارة من تكون؟ فأجاب بأنها أخته، يعني أخته في الإسلام، علما أنها زوجته كذلك. ففي الحديث عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لم يكذب إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله: قوله: (إني سقيم)، وقوله: (بل فعله كبيرهم هذا)، وقال: بينما هو ذات يوم وسارة، إذ أتى على جبارٍ من الجبابرة، فقيل له: إن هاهنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه، فسأله عنها: من هذه؟ قال: أختي. فأتى سارة، فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك، فإن سألك فأخبريه أنك أختي، فإنك أختي في الإسلام. ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك. فأرسل إليها، فأتي بها، قام إبراهيم ـ عليه السلام ـ يصلي، فلما دخلت عليه، ذهب يتناولها بيده. فأُخذ[٧٣] ـ ويروى فغط[٧٤] ـ حتى ركض برجله[٧٥]، فقال: ادعي الله لي، ولا أضرك. فدعت الله فأطلق، ثم تناولها الثانية، فأخذ مثلها أو أشد، فقال: ادعي الله لي، ولا أضرك. فدعت الله فأطلق، فدعا بعض حجبته، فقال: إنك لم تأتني بإنسان، إنما أتيتني بشيطان، فأخدمها "هاجر"، فأتته وهو قائم يصلي، فأومأ بيده "مهيم"[٧٦]؟ قالت: ردَّ الله كيد الفاجر في نحره، وأخدَمَ هاجرَ). قال أبو هريرة :فتلك أُمكم يا بني ماء السماء[٧٧]. متفق عليه[٧٨].

٩١) **وللمسلم أن يدفع المال لأعداء الدين فدية لنفسه ودينه عند الضرورة،** وذلك كما فعل صهيب عند الهجرة حيث أعطى قريشا ماله، مقابل السماح له بالهجرة، وقد قال له النبي صلى الله عليه وسلم(ربح البيع صهيب، ربح البيع صهيب)[٧٩]. ونزل في ذلك قوله تعالى مصوبا عمل صهيب: (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد) [البقرة/ ٢٠٧].

٩٢) **وللمسلم أن يدخل في جوار المشركين وحمايتهم،** كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عندما ترك الهجرة إلى الحبشة، ودخل بمكة بجوار ابن

---

[٧٣] ـ أي حبس نفسه فكاد يختنق.
[٧٤] ـ أي خنق.
[٧٥] ـ أي ضرب الأرض برجله من شدة الغط.
[٧٦] ـ أي ما شأنك وما حالك؟.
[٧٧] ـ يريد العرب.
[٧٨] ـ انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (١٥٨٩/٣-١٥٩٠)، رقم الحديث: ٥٧٠٤.
[٧٩] ـ انظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (١٣٢/١)، دار الصابوني، القاهرة، الطبعة التاسعة.

الدغنة، ومما جاء في القصة التي رواها ابن إسحاق: (حدثني الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: فقال ابن الدغنة: أين يا أبا بكر؟ قال: أخرجني قومي وآذوني، وضيقوا علي. قال: ولم؟ فوالله إنك لتزين العشيرة، وتعين على النوائب، وتفعل المعروف، وتكسب المعدوم، ارجع فأنت في جواري. فرجع معه، حتى إذا دخل مكة، قام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش، إني قد أجرت ابن أبي قحافة، فلا يعرضن له أحد إلا بخير. قالت : فكفوا عنه)[٨٠].

٩٣) ويُشرع للإنسان وفق الشريعة والقانون: أن يدافع عن دينه ووطنه ونفسه وماله وعرضه، وذلك إذا تعرض للغدر والغارة والسلب والنهب، وبخاصة عند الغزو الخارجي، أو حالة وجود تهديد لأمن البلاد والعباد، وذلك أن العدوان بكافة صوره يهدد أمن الأفراد والمجتمعات، ويفكك الدول ويذهب بالتعايش السلمي أدراج الرياح، فشُرِعَتْ مقاومته، وذلك حرصاً على البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمعات من التفكيك والتخريب، وفي هذا الصدد جاء هذا الحديث عن سعيد بن زيد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ قُتِلَ دونَ دينِهِ فهو شهيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دونَ دمِهِ فهوَ شهيدٌ، ومَنْ قُتِلَ دونَ مالِهِ فهوَ شهيدٌ، ومَنْ قُتِلَ دونَ أهلِهِ فهو شهيدٌ). رواه الترمذي، وأبو داود، والنسائي[٨١].

٩٤) **وذكر الله تعالى هو زاد المسلم في السراء والضراء،** وهو الذي يهب المؤمن الطمأنينة، وحسن التصرف، واتخاذ القرار السليم، قال تعالى: (الذين آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرعد/ ٢٨].

٩٥) على الإنسان أن يستسلم لقضاء الله وقدره عند الضرورة والشدة، إذا انقطعت الأسباب والوسائل، وأحدقت به الأخطار من كل جهة، كما فعل سيدنا عيسى حين هم قومه بقتله، فأسلم أمره كله لله، فرفعه الله إليه ونجاه منهم، وكذلك فعل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في الغار يوم الهجرة، فحفظه الله تعالى ونصره.

٩٦) **عند وجود الكوارث والزلازل والحروب والهجرات، ينبغي أن يتحلى المرء بخلق الإيثار والتضحية،** قال تعالى يمدح الأنصار الذين استقبلوا إخوانهم المهاجرين، وآثروهم على أنفسهم رغم قلة الحيلة وضنك العيش وضيق الأحوال: (وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر/٩] .

---

[٨٠] ـ انظر: سيرة ابن هشام، بتحقيق طه سعد، (١٢٢/٢) دار الفكر، بيروت.
[٨١] ـ انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (١٠٤٧/٢)، رقم الحديث: ٣٥٢٩.

٩٧) **كل عمل فيه ضرر على المجتمع محرم بشكل عام،** مثل السرقة، والغش التجاري، والاحتكار... وعند وجود الكوارث والزلازل والحروب والهجرات تكون هذه الأعمال أكثر حرمة، لأنها تمزق لُحمة المجتمع ونسيجه العام.

٩٨) **يمكن في بعض الأحيان التغاضي عن بعض أخطاء ومخالفات الآخرين في المجتمع الواحد حرصاً على المصلحة الشرعية،** أو الوحدة الوطنية، فقد تغاضى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بعض أذى المنافقين له ولأصحابه، وبخاصة جرائم رئيسهم عبد الله بن أبي بن سلول الذي كان أعدى أعداء النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة، وهو رأس القائلين بالإفك، وقد برر عليه السلام عفوه عنهم حتى لا يقال: إن محمدا يقتل أصحابه، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٩٩) **عند الاضطرار يباح للمسلم أن يفعل بعض المحرمات بشكل مؤقت؛** وذلك إذا كان فيها حفاظ على حياته، بما في ذلك أكل الميتة ولحم الخنزير، قال تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ). [سورة المائدة/ الآية ٣].

١٠٠) **لا يلزم الإسلامُ المسلمَ بتغيير المنكر عن طريق اليد فقط، وإنما يراعي حالة المسلم ووضعه بطريقة لا تجعله يصطدم مع الآخرين، ولا ينزع يده من بيعة ولي أمره بسبب معصية رآها،** ففي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري[٨٢].
وعليه: فإن الانخراط في الفتن والحروب، والتعرض للمهالك والسجون، والخروج على ولاة الأمور بالسيف [ما لم يكن هناك كفر بواح متفق عليه بين الناس وشاهدوه بأعينهم] كل هذا من شأنه أن يعرض المسلم إلى هلاك نفسه وأسرته ومجتمعه، والله لم يطلب منه هذا، وهو ـ سبحانه ـ يريد بنا اليسر لا العسر، قال تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) [البقرة/ ١٨٥].
فمن دخل في ثورات دموية، أو حروب محلية أو قومية أو غيرها، وأصابه مكروه، فهذا بسبب تطوعه في أنشطة لم تُفرض عليه، وهو يتحمل نتائج عمله في الدنيا والآخرة، ظالماً كان أو مظلوماً، حاكماً كان أو محكوماً.

١٠١) أفتى بعض الفقهاء المعاصرين، للمسلم الذي يعيش في بلاد الغرب، بشراء منزل بواسطة قرض ربوي إذا كان ثمن الشراء غالياً، ولم يكن لديه وسيلة لتملك البيت بغير هذه الطريقة[٨٣].

---

[٨٢] - انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (١٤٢١/٣)، رقم الحديث: ٥١٣٧.
[٨٣] - انظر: موقع إسلام أونلاين، شراء البيوت بالربا في بلاد الغرب، على الرابط:
https://bit.ly/2EUE2tf

١٠٢) **أجاز بعض الفقهاء المعاصرين القيام بالتأمين التجاري على البضائع ونحو ذلك،** ومن هؤلاء الشيخ مصطفى الزرقاء رحمه الله تعالى[٨٤]، ولا شك أن هذ فتوى مهمة تخفف على المسلم الأعباء في حال تعرضه لأي أذى يصيبه لا سمح الله.

١٠٣) **لا يلزم الإسلامُ المرأةَ بلبس النقاب، ولم يتفق العلماء على وجوبه،** فقد أفتى بعض العلماء ومنهم الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ بأن النقاب سنة[٨٥]، وأما شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب فقال: (إن النقاب ليس فرضاً ولا سنة ومندوباً، ولكنه ليس مكروهاً أو ممنوعاً... هو أمر مباح، ومن لا ترتدي النقاب لا شيء عليها، ومن ترتديه لا يمكن لي أن أقول لها أنك تفعلي أمراً شرعياً تثابي عليه، هو أمر في دائرة المباح .. هو كما أنك تلبس خاتم أو تخلعه، أي إنه من باب الزينة، لا يتعلق به أمر أو نهي أو ثواب أو عقاب)[٨٦].
وإلى نحو هذا ذهب عدد من علماء مصر، منهم: شيخ الأزهر السابق الدكتور محمد سيد طنطاوي، والمفتي السابق الدكتور علي جمعة، ومفتي الجمهورية الأسبق الدكتور نصر فريد واصل[٨٧].
وعليه: ليس ملزما أن تتمسك به المرأة، وخصوصاً إذا كانت تعيش في مجتمعات غير إسلامية، وخشيت على نفسها أن تتعرض للأذى وقت الفتن والاضطرابات.

١٠٤) **أجاز بعض العلماء للمرأة لبس البنطلون بشروط، ومن هؤلاء فضيلة مفتي مصر الأستاذ الدكتور شوقي علام، حيث قال فضيلته بعد بحث وتفصيل في جواب سؤال عن حكم لبس النساء للبنطلون:** (وعليه: فإن لُبس النساء للبنطلون الواسع الفضفاض الذي تتحقق فيه شروط الزي الشرعي جائزٌ ولا شيء فيه، وهذا بخلاف الضيّق الذي يُحَدِّد حجم العورة فإنه لا يجوز. والله سبحانه وتعالى أعلم)[٨٨].
ولا شك بأن الملابس الشرعية للمرأة هي الأصل، ولكن هذه الفتوى فيها تيسير على طالبات المدارس والجامعات، والموظفات في البلدان الإسلامية، وفيها تيسير أيضاً على النساء اللواتي يعملن في السلك الدبلوماسي والعسكري، وكذلك فيها تيسير على المسلمات اللواتي يعشن في بلاد غير إسلامية، حيث قد يتعرضن للأذى بسبب الملابس التقليدية.

---

[٨٤] ـ انظر: موقع إسلام أونلاين، حكم التأمين على الحياة، وذلك على الرابط:
https://bit.ly/2sQ7C0o
[٨٥] ـ انظر: حكم ارتداء المرأة للنقاب، للألباني على اليوتيوب، على الرابط:
https://bit.ly/2QpfkGu
[٨٦] ـ انظر: موقع اليوم السابع، على الرابط:
https://bit.ly/2ZnMNp8
[٨٧] ـ انظر: موقع جريدة الرياض، على الرابط:
https://bit.ly/2MsW0ab
[٨٨] ـ انظر: حكم لبس النساء للبنطلون، موقع دار الإفتاء المصرية، على الرابط:
https://bit.ly/2NykijH

١٠٥) يجب أن نتحرز من استخدام فتاوى التسهيل والتيسير ما لم تكن قائمة على أسس علمية متينة، أو اجتهاد جماعي لفقهاء مشهود لهم، فقد أجاز أحد المشايخ للمرأة التيمم للحفاظ على مكياجها، وفقا لما أوردته صحيفة المرصد[٨٩]. ونحن نتحفظ على هذه الفتوى، لأن الماء إذا وجد بطل التيمم كما هو معروف.

ونقول في خاتمة البحث: نعم للتعايش، نعم للتآخي، نعم للوفاق، نعم للتيسير، دون أن يؤدي ذلك إلى الذوبان في الآخر، وفقدان الشخصية، وتمييع القيم والثوابت.

***

ثامناً: خاتمـــــــة

١٠٦) **ما أحوجنا ـ نحن أبناء آدم من كافة الشعوب والأمم ـ إلى السلم والحلم، والتفاهم والتعايش المشترك، ونبذ الأحقاد والعداوات التي هي من عمل الشيطان،** قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمنوا ادخُلُوا فِي السِّلمِ كَافَّةً ولا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ إنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُّبِينٌ) [سورة البقرة/ الآية ٢٠٨]. نسأل الله تعالى أن ينشر الأمن والأمان في بلاد العرب والمسلمين وغيرهم.

١٠٧) لقد صارت الأعباء كثيرة على المسلم المعاصر، ولا سيما بعد ولادة ما يسمى بالفكر الثوري العنيف، هذا الفكر الذي يتغنى ببريق السيف البتار، لا بجمال العقل والأفكار، وينبهر بلمعة الرماح لا بضوء المصباح ... لقد جلب هذا الفكر المعرة والشقاء على المسلمين حكاماً وشعوباً، وعلى حامليه كذلك.

أما آن الأوان لمراجعة وتقييم شاملين لحالة الفكر والواقع والأفراد والمجتمعات المسلمة من أجل مستقبل واعد وواقع أفضل؟! لعلنا لو فعلنا ذلك نشارك العالم في صناعة الحضارة، ولا نكون مجرد متفرجين بين اللاعبين في ساحة التنافس العلمي والاقتصادي والتكنولوجي، هذا التنافس الذي زادت وتيرته في العصر الحديث، وليس لنا منه حظ إلا متعة النظر!

---

(89) ـ انظر: داعية سعودي: "يجوز للعروس أن تتيمم حفاظاً على مكياجها، ، على الرابط: https://bit.ly/38h1wFo

فقه التعايش الحضاري والأزمات

أ.د. محمد رفعت زنجير

هذه قواعد في فقه التعايش الحضاري والأزمات، كُتبتْ بأسلوبٍ سهل مختصر، يمكن أن يستفيد المسلم منها جميعاً، فمعظمها تفيد حياته بشكل عام، وهو يستفيد من بعضها عند الأزمات والمحن بوجه خاص، وذلك أن بإمكانه، وفق الشريعة التي نظمت الحياة في كافة صورها وأطوارها، فعل كل ما فيه أمنه وسلامته، وسلامة مجتمعه الذي يعيش فيه.

İtkan Kitap
إتقان للنشر
دار إتقان للنشر والتوزيع
itkankitapevi@gmail.com
9 786050 601756